العسكري وتكمله بالعمل السياسي . وتوجد، طبعاً، علاقة جدلية تبادلية اساسية بين مجالات النشاط العسكري والسياسي والدبلوماسي، الا ان الادوار انقلبت حالياً: فبدلاً من ان يكون العمل العسكري قاعدة للنشاط الدبلوماسي وركيزة ضرورية له، صار العمل السياسي حيوياً ليرفد م.ت.ف. بالقوة الجسدية، وليعوض عن نواقص العمل العسكري. وايجابية هذا التحول تتمثل في تقليص حيوية وضرورة تنفيذ العمل العسكري لانجاح الجهد السياسي والدبلوماسي، مما يخفض الضغط على القيادة الفلسطينية لجهة تصعيد الكفاح المسلح. بل ويمكن التركيز اكثر، عند تنفيذ اي عمل عسكري، على تنمية جوانبه الفنية، وخدمة اهدافه الميدانية، دون الاضطرار الى التضحية بالمعايير الادائية وبالمنفذين.

ثم يلاحظ، عند تقويم التجربة العسكرية، ان هناك هدفين رئيسين للعمليات العسكرية الفلسطينية . يتمثل اولهما في اثبات الوجود للشعب وللتنظيمات المسلحة؛ بينما يتمثل الثاني في التأثير في رؤية ومعنويات الاسرائيليين. ولم يتوجه النشاط المسلح الفلسطيني ، عملياً، منذ سنوات طويلة، نحو تقويض الدعائم الجسدية للكيان الصهيوني، بل الى تقويض المرتكزات النفسية ـ السياسية لاحتلاله للضفة والقطاع. فاذا صح هذا التقويم، فهو يعني فتح المجال لادراج تعديلات في نمط العمل العسكري؛ اذ يمكن اثبات الوجود من خلال عدد أصغر من العمليات التي تتمتع بتخطيط وتنفيذ افضل، وكذلك تتعزز اكثر مكانة من ينفذ عمليات نوعية قليلة على حساب من يتعثر بعمليات سطحية غير كفؤة. وينطبق الشيء ذاته بخصوص التأثير على الاسرائيليين؛ اذ يصعب اخفاء، أو تجاهل، العمليات النوعية، في حين يمكن اخفاء اهمية العمليات السطحية، ويمكن، ايضاً، القاء القبض على المنفذين بسهولة اكبر . وتبقى الحاجة الى نوع العمليات التي تعكس ثورة الشعب وتمرده على واقع الاحتلال، كقذف الحجارة والزجاجات الحارقة؛ غير ان ذلك لا يشكل بديلاً من العمل النوعي المنظّم والموجّه مركزياً، بغض النظر اين كان المركز، أو هل تعددت المراكز ؟

يبدو من الملاحظات السابقة ان الجوانب السياسية للنشاط المسلح هي الأهم. واذا جمعنا ذلك مع واقع الصعوبات التي تعيق الخيار العسكري حالياً، يتضح ان العمل السياسي الجماهيري الواسع في انحاء الارض المحتلة، لا بد ان ينمو كركيزة اساسية للنضال الفلسطيني. مثلاً، اذا كانت اهمية أعمال قذف الحجارة والزجاجات الحارقة تكمن في اظهارها لرفض الشعب الفلسطيني للاحتلال، فان ذلك يؤكد أهمية انتشار حالة سياسية معينة، ويملي، في الوقت عينه، ضرورة تطوير الاشكال السياسية والنقابية والثقافية والاجتماعية كافة التي تعمّم ظاهرة المقاومة، وتوحّد الاتجاهات، وتصبح ساطعة امام العالم اجمع. وتدل خبرة م.ت.ف. منذ العام ١٩٧٤، على ان انتفاضة الارض المحتلة كانت العنصر الاهم، او احد عنصريين رئيسين على الاقل (الثاني هو الوجود المؤسسي في لبنان وخارجه)، في تعزيز مكانتها ورفدها بالقوة لتجابه المناورات الاميركية والعربية. وتشكل حركة الفلسطينيين، ابناء أرض ١٩٤٨، دليلاً اضافياً على تلك الحقيقة، حيث أدى تجسيد المشاعر الوطنية القومية في التظاهرات والروابط السياسية الى زعزعة ثقة الاسرائيليين وتقوية صورة م.ت.ف. كممثل شرعي ووحيد.

فالعمل السياسي ـ الجماهيري يتسم بالحيوية، حتى لو اتبعت م.ت.ف. استراتيجية عسكرية شاملة؛ اذ يتوقف نجاح اي نشاط مسلح على قدرة التنظيمات التي تمارسه وعلى استثمار نتائجه ورفده بالاعضاء . وتزداد أهمية العمل السياسي في الداخل كلّما ضُيِّق الخناق على الفلسطينيين في دول الطوق وعلى م.ت.ف. عموماً؛ اذ يؤدي الحصار الى اعاقة النشاط العسكري؛ وفي وضع